

الشريعة وأهل البيت

تأليف الأستاذ

إحسان إلهي ظهير « رحمه الله »

رئيس تحرير مجلة

ترجمان الحديث لاهور باكستان

مقدمة

الحمد لله الذي هدانا للإسلام وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله والصلاة والسلام على نبيه محمد المصطفى ، الذي تركنا على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يضل سالكها، ولا يهتدي تاركها، وعلى آله وأصحابه نجوم الهدى ، وزين الورى، ومن أحبهم إلى يوم الفناء وزوال الأرض والسماء .

وبعد فإنني ألفت قبل السنوات التسعة كتاباً حول عقائد الشيعة رداً على من أراد التمويه والتزوير لأهل السنة في بلادهم ومدنهم باسم التقريب ، أي تقريب السنة إلى الشيعة والتشجيع، مستعملاً فيه التقية اللازمة لمذهبهم ، والأكاذيب التي هي أكبر وسيلة للقوم .

فحمداً لله أفاد الكتاب الأقارب والأباعد، الأحياء والأغيار بصورة لم أكن أتصوره آنذاك، وصار مرجعاً للمخلصين الأوفياء لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، ومثلجاً صدور المؤمنين ، المتبعين أسلاف هذه الأمة وأكابرها الذين حملوا راية الله إلى الآفاق، وكسروا شوكة أعداء الله، جبابرة الأمم وطغاتها ، وفرح به الأصاغر والأكابر.

وعرف الجميع حقيقة القوم التي طالما خفيت على كثير من الناس الذين خدعوا بالأباطيل والنعرات والهتافات بحب آل البيت، واتباعهم ، وموالاتهم .

وعرفوا أن القوم يدينون بدين هو غير دين الله الذي جاء به محمد بن عبد الله، نبي الله وصفيه صلوات الله وسلامه عليه ، ويؤمنون بالقرآن غير القرآن الموجود في أيدي الناس ، والمنزل من الله على قلب المصطفى ، نزل به الروح الأمين صلى الله عليه وسلم، ولهم عقائد ومعتقدات لا تمت إلى الإسلام بصلة والإسلام منها بريء .

كما علموا بغض القوم وحقدهم على أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم وشتائمهم وسبابهم إياهم ، ولعله أول مرة بذكر المصادر الموثوقة ، والكتب المعتمدة لدى القوم ، وبعباراتهم أنفسهم مع ذكر الصفحة والمجلد والطبعة .

وعرفوا كذلك التقية الشيعية ومعتقدهم في الأئمة ، وجعلهم فوق الأنبياء والرسول ، بل وقريباً من الإله الواحد ، الفرد ، الصمد .

وذمهم من قبل أئمتهم وأهل البيت إياهم ، عرفوا كل ذلك ، وأدركوا خطرهم ومكرهم وما يكتمون وراء دعوتهم أهل السنة إلى التقريب والتقارب .

وأحدث الكتاب ضجة كبرى في الأوساط الشيعية لافتتاح أمرهم واكتشاف سرهم حتى صرخ أحد مؤلفيهم الذي عبثاً حاول الرد على الكتاب بقوله : خذ صفحة من كتاب « الشيعة والسنة » واقراه وانظر ما فيه ، ستجد

كلامي حقاً لا شبهة فيه وستجد أن هذا الرجل يحاول أن يثير الرأي العام على الشيعة - إلى أن قال - وفقت في هذا العام لأداء العمرة المفردة فوجدت أن كلمات هذا الرجل تتردد على أفواه بعض المنتسبين للعلم أكثر من السنين السابقة فهم يرددون تلك الكلمات كما تردد البيغاء كلماتها المحفوظة ، فعلمتُ أن هذا من تأثير ذلك ^١ .

كما كتب لي أحد أئمة الشيعة من الكاظمية من العراق وهو يلومني « وفي إحدى الجمعيات وجدتُ أحد الأصدقاء والأحباء المخلصين لي من بغداد وهو قد استمع إلى خطبتي حسب العادة ولكنه انصرف قبل إقامة الصلاة ، ولما سألته بعد ذلك عن سبب انصرافه قبل الصلاة؟ قال : لأنني لا أجزها خلفك ، فازداد استغرابي فقلت : وما الذي حدث ؟ قال : إني قرأت « الشيعة والسنة » لأحد علماء باكستان وقرأت فيه ما جعلني أعتقد فيكم ما لم أكن أعتقد قبل ذلك ، ولكنني لشغفي بكم وبجي لخطابكم جئت لأستمع الخطبة وأما الصلاة فلا ^٢ .

فكتبتُ رداً عليه ، في يومه وها أنا ذا أجيب السيد س-خ : « إن كان ما كتبتُه غلطاً وكذباً فبيئوا وتؤجروا ، وإن كان صحيحاً فارجعوا إلى الحق واتركوا ما ترون في إظهاره فضيحة وعاراً لكم في الدنيا ، وسيكون في الآخرة أشد » . وعند الله في ذلك الجزاء .

وسنة ٨٠ الميلادية لقيني في الحج بمكة المكرمة بعض العلماء الكبار من الشيعة وتكلموا حول كتابي وقالوا : لا ينبغي كتابة مثل هذا الكتاب في مثل هذه الظروف والآونة فقلت لهم : نعم ، ولكم حق ، ولكن هل لكم أن تخبروني أن في الكتاب غير ما هو موجود في كتبكم أنتم ؟ فقالوا : نعم ، كل ما فيه من كُتُبنا نحن ولكن لا ينبغي إثارة المسائل كهذه ، فقلت : ماذا تريدون ؟ قالوا ، وهم يطيطون فرحاً وسروراً من استماعي وإصغائي لهم : صادرٌ هذا الكتاب وأحرقه ولا تطبعه ثانية .

قلت : موافق ، ولكن بشرط ؟

أجابوا وهم لا يصدقون قولي من شدة الفرح : بشروط ! فرجعوا إلى أنفسهم وقالوا : إنك تعرف أن هذه الأشياء كانت مبعثرة ، منتشرة في أوراق الكتب وصفحاتها ، ولم يكن في متناول كل أحد ، ولكنك ألفتَ وجمعتها كلها في كتاب ، وأردت أن تفرق بها كلمة المسلمين ؟

نعم ! جمعتُ وألفتُ وجعلتُ هذه العقائد في متناول الجميع بعد أن كانت معروفة لدى قوم واحد ، والآخرين كانوا في غفلة منها وعدم العلم ، ألفتُ حتى يكون كلا الطرفين على بينة ومعرفة لا يُخدع واحد دون أحد حتى يكون التقارب ، التقارب الحقيقي ، ومن جانبيين ، لا من جانب واحد كما قال الفضل بن عباس :

لا تطمعوا أن تهينونا ونكرمكم * وأن نكف الأذى عنكم وتؤذونا

«كتاب الشيعة والسنة في الميزان» ص ٢٥، ٢٦ لصاحب ألقاب س-خ وقد يأتي ذكر هذا الكتاب في الصفحات الآتية .

خطاب الشيخ خطيب الجمعة في الكاظمية ، بغداد .

الله يعلم أنا لا نحبكم* ولا نلومكم إن لا تحبونا
وأما أن يكون بأن نكرمكم ونكرم أكابركم وأعيانكم وأنتم تبغضوننا وتبغضون أسلاف هذه الأمة ومحسنيها،
وباني مجدها، ورافعي شمعها، ومعلني كلمتها، الفاتحين الغزاة، المجاهدين الكمالة .
ونصلق لكم في القول ونظهر ما في قلوبنا ونفوسنا وتستعملون التقية وتبطنون خلاف ما تعلنون فلا يكون
ولن يكون .

نعم ! إن وُجِدَ في كتابي ما لا يوجد في كتبكم ، ونسبتُ إليكم شيئاً لم يكن فيكم فأنا مُدِين ، وهل فيكم وفي
غيركم أحد يستطيع أن يثبت شيئاً من هذا ؟
فلحمد الله الذي لا أحمد أحداً سواه ، ولا أستطيع أن أحمد كما يليق بشأنه وعظمته ، لم يستطيع أحد لا في
العرب ولا في العجم بأن يجترئ ويقدم على ذلك مع كثرة ما كتب رداً علي .
وحتى السيد - س-خ عندما عجز عن ذلك اصطنع رسائل واخترع خطابات لم تحملها البريد أبداً ومن
الفتيات في الإمارات العربية^٣ .
والفتيات التي قال فيه عنهن الشاعر قديماً :-

كُتِبَ القَتْلُ والقِتَالُ علينا* وعلى الغانباتِ جِرُّ الذِيولِ

ومن الغرائب أن الرسائل أرسلتُ إلى حسب قوله بباكستان ، ولكنها وصلت إليه في لبنان .

لهم قلوب لا يفقهون بها

ولا يسعني إلا أن أقول له : عبثاً يا سيده س-خ ! كلّفتَ نفسك بالرد أنت - وغيرك مثلك^٤ .

دَعِ المكارِمِ لا ترحلِ لِبيغيتها* واقعدْ فإنك أنتَ الطاعِمُ الكاسي

وعلى كل فإن الكتاب ومع صغر حجمه كان كثير الفائدة والنتائج ، وكان الإقبال عليه مدهشاً حتى طُبِعَ منه
خلال هذه السنوات القليلة أكثر من مائة ألف نسخة طباعة شرعية ، أعني ما طبع منه بإذن مني ، وأما الغير الشرعية
فالله يعلم ° ، هذا باللغة العربية ، أما باللغات الأخرى الفارسية وغيرها فغير محسوب .
أما هذا الكتاب ، فكتاب مستقل عن ذلك ، وأقصد من كتابته أولاً هو تعريف الشيعة ، وتبييت حقائقها ،
وإظهار خفاياها ، وإلقاء الأضواء عليها ، وعلى المسائل التي اخترعوها ، والعقائد التي ابتكروها وأوجدوها - للشيعة
أنفسهم - .

انظر لذلك «كتاب الشيعة والسنة في الميزان» ص ١٤٥، ١٤٦.

والكتب الأخرى التي ردت بها علي لا تختلف عن هذا الكتاب .

مثلما طبع في بعض البلاد العربية .

لأننا أدركنا القوم أنفسهم وخاصة العوام منهم لا يعرفون مذهبهم الحقيقي ، ومعتقداتهم الأصلية^٦ ، فهم في جهل كامل ، وغفلة عميقة عن حقيقة مذهبهم الذي اعتنقوه وراثته ، أو مخدوعين باسم حب أهل البيت النبي والولاء لهم ، وهم لا يعرفون حتى وأهل البيت ، لأن القوم ما أرادوا من أهل البيت أهل بيت النبي ، بل يقصدون من وراء هذه الكلمة أهل البيت علي لا نبي ، وحتى علي لا يعدون جميع أولاده من أهل البيت مع من فيهم بناته اللاتي أحببتهن فاطمة رضي الله عنها بنت النبي صلى الله عليه وسلم ، بل يقصدون من ذلك أشخاصاً معدودين يعدون على أنامل يد واحدة كما سيرى القارئ في الكتاب .

فأولاً وأصلاً كتبنا هذا الكتاب لأولئك المخدوعين ، المغترين ، الغير العارفين حقيقة القوم وأصل معتقداتهم كي يدركوا الحق ويرجعوا إلى الصواب إن وفقهم الله لذلك ، ويعرفوا أن أهل البيت - نعم - وحتى أهل بيت علي رضي الله عنهم أجمعين لا يوافقون القوم ولا يقولون بمقالتهم ، بل هم على طرف والقوم على طرف آخر ، وكل ذلك من كتب القوم وبعباراتهم هم أنفسهم ، وهذا مع ادعائهم اتباعهم وإطاعتهم وولائهم وموالاتهم . كما يكون الكتاب حجة قاطعة وبرهاناً ساطعاً في أيدي السنة ، مطيعي كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام ، ومحبي الصحابة ، ومتبعي السلف الصالح لهذه الأمة ، والسالكين مسلكهم ، والمقتفين آثارهم ، والمتبعين منهمجهم ، طبقاً لقول الله عز وجل : ﴿ والذين اتبعوهم بإحسان ﴾ . ومصداقاً لقوله جلّ وعلا : ﴿ رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم ﴾^٧ .

ومن الطرائف أن القوم لشدة بغضهم أصحاب رسول الله العظيم صلوات الله وسلامه عليه ، ورضوان الله عليهم أجمعين ، نبذوا وحتى تعليمات أئمتهم الذين يزعمونهم معصومين ، لا يصدر عنهم الخطأ والزلل ، والثابتة في كتبهم أنفسهم ، لا في كتب مخالفيهم ومعانديهم .

كما نسوا تلك الروابط والعلائق كانت تربطهم مع الآخرين من الصديق ، والرفاق ، وذي النورين ، ومعاوية خال المؤمنين ، وغيرهم من أجلة صحبة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ورفاقه ، ووزرائه ، ومستشاريه ، وتلامذته ، ومريديه رضي الله عنهم أجمعين والمذكورة المحفوظة في كتبهم أيضاً .

والقارئ يرى العجائب الناطقة إن شاء الله في هذا الموضوع الذي لعله يكون فريداً في نوعه بهذه السعة والثبوت بتوفيق الله إياي ، ومَنِّه ، وكرمه ، ويندهش بعد ما يرى دلائل الصدق تبدد غيوم الضغائن القديمة والأحقاد المتوارثة والجهل السائد الموروث من جيل إلى جيل باسم أهل البيت وعلى حسابهم ، أهل البيت الذين كانوا هم

نعم ! الأصلية وأما العقائد التي يبديها ويظهرها بعض منهم أمام السنة من إنكار التحريف وغيره فليس الغرض منها إلا خداع السنة عملاً بالتقية .

أخلص المخلصين لرفاق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأصحابه ، والمتوادين ، المتعاطفين ، المترحمين ، المتحابين [في]ـأما بينهم ، المتزوجين منهم والمزوجين لهم .

ويرى القارئ أيضا كيف أخرجنا وأثبتنا كل هذا ووضعنا النقاط على الحروف من خلال كتبهم الكثيرة الكثيرة المعتمدة، ومن بين خفاياها وزواياها التي طالما غطّوها ، وغلّفوها بغلافات كثيفة ، كثيرة ، وستروها وأخفوها عن العامة خوفاً من الفضيحة ، وشكراً لله لم نحتج ولا إلى كتاب واحد لإثبات الحق وإبطال الباطل ، وكشف النقاب عن وجه الحقيقة ، وإمطة اللثام عن جبين الصدق ، إلى كتاب واحد ولا إلى رواية واحدة ولو تاريخية ، غير روايات القوم وكتبهم ، ولم يكن هذا إلا بمنّ الله علينا ، حتى يكون أقطع للحجة وأثبت ، وألزم للقوم وأفهم ولا يبقى أمامهم مجال للهرب ، ولا للفرار ، ولا لتأويل ، ولا لتزوير .

فكُتِبَ القوم تشهد عليهم ، ورواياتهم تنطق ضدهم ﴿ يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون ﴾ وأثمتهم يشهدون عليهم بأنهم خالفوهم في حياتهم ، ويخالفونهم بعد وفاتهم ، وهم أثبتوا بأنهم فعلاً خالفوهم ولا زالوا يخالفونهم ، يعملون ضد ما أمروا ، ويتفوهون بما لم يؤمروا ، ويعاندون من والوهم ، ويسبون من صاهروهم ويشتمون من استشاروهم واستوزروهم ، ثم لم يقتصروا على ذلك فحسب ، بل تجاوزوا إلى إهانة أهل البيت أنفسهم ، والظعن والنقد والجرح فيهم ، واستصغارهم واحتقارهم ، ووصلوا إلى حد الإساءة والسباب والشتيمة في حقهم كما تجرّوا على أنبياء الله ورسله ، وتناولوا على خير الخلق وسيد البشر صلاة الله وسلامه عليهم أجمعين .

كذبوا عليهم ، ونسبوا إليهم مسائل يمجّها العقل ، ويزدرئها الفكر ، وتآبها الفطرة السليمة ، وينكرها الذوق ، وكل هذا من كتبهم الموثوقة ، المعتمدة ، والكتب لديهم ، والتي طبعوها أنفسهم أيضاً بثبت المصادر والمراجع ، وبذكر الصفحات ، والمجلدات ، والطبعات بالأرقام والحروف .

ولا نظن أن يجترئ أحد منهم على أن يكذب ما ذكرناه ، أو ينكر ما أثبتناه إن شاء الله .

ونعتقد أن الله ينفع بهذا الكتاب أناساً كما نفع بسابقه وأن يهدي به من أراد هدايته .

وبذلك نرى أننا وفينا الوعد الذي وعدنا به في كتابنا الأول بأن نتبعه بكتاب آخر ، وهماو ذا الكتاب نقدمه اليوم بين أيدي القراء راجين منهم أن يخبرونا بأرائهم حوله ، وهل يحتاجون بعد هذا إلى مختصر آخر حتى نعد لهم ، ونقدمه إليهم ؟ لأننا أثناء تصفحنا كتب القوم وجدنا أشياء كثيرة كانت غامضة وخافية وحتى علينا نحن ، ولعل الله يهيئ الأسباب لإخراجها من دفائن الكتب وطياتها ، وإبرازها للناس ، وما ذلك على الله بعزيز .

وأخيراً لا يسعني إلا وأن أذكر ههنا أن المشائخ والاخوة الكثيرين لهم يد كبير في تأليف هذا الكتاب وإبرازه للناس حيث ألحوا على بمواصلة الكتابة حول هذا الموضوع الذي ازداد احتياج الناس إليه في الآونة الأخيرة لعدم

معرفتهم المعرفة الحقيقية معتقدات القوم الأصلية ومواقفهم تجاه سلف هذه الأمة ومحسنيها وكثرة اشتغال الكتاب والمؤلفين من الشيعة بالكتابة ضد السنة وأسلافهم وعقائدهم المبنية على الكتاب والسنة ، فإنه لا يصدر كتاب من الشيعة - وما أكثره - إلا ويكون مليئاً من الجرح والقدح في أصحاب رسول الله وعلى رأسهم الخلفاء الراشدين الثلاثة وأمّهات المؤمنين أزواج النبي الطاهر صلوات الله وسلامه عليه ورضوان الله عليهم أجمعين ، واللعن والظعن فيهم ومن أحبهم وتبعهم واهتدى بهديهم .

ولغفلة السنة عامة عما يصنعه إخوة يوسف من نشر التهم والأكاذيب ، ومن تدبير المؤامرات ونسج الأباطيل حولهم وضدهم .

وأخص بالذكر الشيخ سعد الراشد صاحب مكتبة دار المعارف بالرياض الغيور لدين الله وحملته والشيخ فضل إلهي أستاذ بجامعة الإمام بالرياض شقيقي الأصغر ، الذي لم يلقي يوماً إلا وذكرني بذلك ، والشيخ الدكتور عبد الله ابن الزايد ، والشيخ محمد بن السبيل ، والشيخ إبراهيم بن صالح آل الشيخ ، والشيخ عبد المحسن عباد ، والشيخ عبد القادر شيبية الحمد ، والشيخ عطية محمد سالم ، والشيخ صالح اللحيدان ، والشيخ عبد العزيز القاري ، وأساتذة الجامعات ورؤساء المحاكم في السعودية وغير السعودية ، بارك الله في أعمالهم ، وجزاهم الله على غيرتهم ونخوتهم للإسلام والمسلمين ، وتشجيعهم إياي لولاه بعد توفيق من الله لما كان لهذا الكتاب وجود .

وصلى الله تعالى وبارك وسلم على محمد خير البرية وعلى أصحابه البررة الأطهار وعلى آله الطيبين الأخيار ، ومن تبعهم إلى يوم الدين . والله حسبي وهو ولي التوفيق ونعم الوكيل .

إحسان إلهي ظهير

إبتسام كاتيج - لاهور

٨ شوال ١٤٠٢ هـ

١٦ يوليو ١٩٨٢ م

بسم الله الرحمن الرحيم مقدمة الطبعة الخامسة

لم يكن في بالنا يومَ طبعنا هذا الكتاب أن يلقي هذا القبول والرواج حيث لا يخرج من المطبعة إلا وينفذ جميع نسخه في شهر واحد ونضطر إلى طبعه مرة ثانية وبكمية كبيرة جداً في الثاني فقط ، كما لم يكن في حسابنا أن لا يمضي شهر آخر إلا ونحتاج إلى طبعه مرة أخرى بعدد ضخم أكثر من المرة الأولى والثانية ، وتقديراتنا تلك المرة أيضاً كانت خاطئة حيث عقبتنا تلك الطبعة ، الطبعة الرابعة ، وها نحن نطبعه طبعة خامسة ولم يمض على صدوره تسعة أشهر ، فله الحمد من قبل ومن بعد ، وهو الذي وفقنا لهذا العمل الذي لم نعمله إلا ابتغاء لمرضاته وحباً لأصحاب نبيه الكريم صلوات الله وسلامه عليه ورضوان الله عليهم أجمعين .

والجدير بالذكر أنه صدر لنا في خلال هذه المدة كتاب آخر عن الشيعة ألا وهو « الشيعة والقرآن » ، وقد لقي نفس القبول بفضل الله ، كما صدر لنا كتاب آخر « البريلوية » .

فنحمدك يا رب على نعمائك اللامتناهية وكرمك اللامحدود ، ونسألك يا الله المزيد من التوفيق والعمل لرفع شأن دينك والدفاع عن حوزته ، وصلِّ على رسولك ونبيك ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين .

إحسان إلهي ظهير

٢٤/سبتمبر/١٩٨٣م